فيا لَيْتَنا نَحْيا جَميعاً فإنْ نَمُتْ
تُجَاوِرُ في الهَلْكَى عِظامي عِظامُهَا[١]
وفي الظَّعْنِ بَيْضاءُ العوارِضِ طَفْلَةٌ
مُنَعَّمَةٌ يَسْبِي الحَليمَ ابتِسامُها[٢]
إذا سُمْتُها التَّقْبيلَ صَدَّتْ وأَعْرَضَتْ
صُدودَ شَمُوسِ الْخَيْلِ صَلَّ لِجامُها[٣]
وعَضَّتْ على إبْهامِها ثمَّ أَوْمَأَتْ:
أَخافُ عُيوناً أَنْ تَهُبَّ نِيامُها[٤]

٢٠٦
إنما أَنتَ هامة

[الطويل]

أَلا تِلْكَ لَيْلَى قد أَلَمَّ لِمَامُها
وكيفَ مع القَوْمِ الأَعادي كلامُها[٥]؟

---

(١) يتمنّى الشاعر العيش إلى جانب حبيبته وحتى في حال الموت يودّ أن تتجاور عظامهما لينعم بالقرب منها في حالتي الحياة والموت.

(٢) والحبيبة تبدو ساعة رحيلها بيضاء الأسنان منبسطة الأسارير تعلوها ابتسامة طفولية بريئة جذّابة تستولي على الرجل العاقل الرزين فتستعبده وتستولي عليه بلطافة مظهرها.

(٣) و (٤) سمتها التقبيل: حاولت تقبيلها. الشموس: الجموح. صَلّ: صَرْصَر صوتاً كالصليل. فلو قصد الشاعر تقبيل حبيبته لصدّته وازورَّت عنه كأنها فرس جموح لم تُروّض وصهلت مُغضبة وأسمعت صليل لجامها. وعضت إبهامها مشيرة أنها تحذر عيوناً نائمة سرعان ما تنتبه لأول سانحة، فتلوك الألسنة السيّئة سمُعتها.

(٥) إنها ليلى، قلّما تُزار لِماماً بين الأحيان، ولا مجال لحديث يكشف ما يعانيه الأحبّة؛ فالأعداء يتربّصون بهما ليناقلوا الأحاديث ويتقوّلوا الأقاويل.

تَـمَـتَّـعْ بِـلَـيْـلَـى إِنَّـمـا أَنـتَ هـامَـةٌ
مِـنَ الـهَـامِ يَـدْنُـو كـلَّ يَـوْمٍ حِـمَـامُـهـا[١]
وبَـادِرْ بِـلَـيْـلَـى أَوْبَـةَ الـرَّكْـبِ إِنَّـهُـمْ
مـتـى يَـرْجِـعُـوا يَـحْـرُمْ عـلـيـكَ لِـمـامُـهـا[٢]
تَـزَوَّدْتُ مِـنْ لَـيْـلَـى بـتـكـلـيـم سـاعَـةٍ
فـمـا زادَ إِلَّا ضَـعْـفَ مـا بـي كَـلامُـهـا[٣]

٢٠٧
وأَقتلُ داءِ العاشقين قديمُها

[الطويل]

أَيَـا جَـبَـلَـيْ نَـعْـمَـانَ بِـالـلَّـهِ خَـلِّـيَـا
سَـبِـيـلَ الـصَّـبَـا يَـخْـلُـصْ إِلَـيَّ نَـسِـيـمُـهـا[٤]

(١) يطلب الشاعر من نفسه أن يجد سبيلاً ليتمتّع بليلى؛ فالموت على الأبواب، ولا بدّ منه، وإن لم يغتنم المرء لحظات السعادة فقد فاتته الحياة وتركته حُطاماً.

(٢) بادر: أسرع. لمامها: الاجتماع بها. الحياة فرص، يخاطب الشاعر نفسه حاثاً إيّاها لتنتهز فرصة غياب العذال وأقاربها ويجتمع بها، وربّما كان هذا آخر اجتماع يحصل بينهما، فبرجوع القوم يحرم عليه لقاؤها ورؤيتها.

(٣) ورد البيت في شرح شواهد شروح الألفية للعيني ٢: ٤٨١، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ١: ٢٨٢، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ١: ١٦١، الدرر اللوامع ١: ١٤٣، ١٩٥، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٢: ٥٧، تُعاني أذنا الشاعر جوعاً لسماع حديث ليلى، فقد تزوّد ساعة من لذيذ ما يجعله يتألّم لفقده سماع صوتها، فزاد ذلك أسًى في نفسه، وفاض لديه العناء.

(٤) ورد البيت في: المغني اللبيب وشرح شواهده، للسيوطي ٢٠ (٢٢)، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ١: ١٥٢، الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ١: ١٧٠/ ٥: ٣٤، الحماسة الشجرية: ١٦٨، الحماسة البصرية ٢: ٩٦. يخاطب الشاعر جبلَيْ نعمان طالباً منهما أن يسمحا لريح الصبا بالمرور عبرهما حتّى يتنسّم ريح الحبيبة فينتعش.